جمعية دراسات أرض فلسطيني للتنمية والانتماء

أكاديمية أرض فلسطين

الدبلوم العام

بحث حول نهاية الفصل الثاني في الدبلوم العام:

تأثير الأزمات السياسية العربية على القضية الفلسطينية 2010- 2018

من أعداد الطالب:

رائد الخطيب

تعد القضية الفلسطينية من أكبر وأعقد القضايا التي لم تحل مع مرور 71 عاماً على بدايتها, حيث تعددت أطراف هذا الصراع وتغيرت مع مرور هذا الوقت كله, فكان يسمى الصراع العربي_الإسرائيلي حيث قامت الدول العربية بعدة حروب شاملة لطرد اليهود من فلسطين وإرجاع الفلسطينيين لأراضيهم المحتلة, ولكن دعم بعض الدول الكبرى لهذا الاحتلال جعله أكبر من أن يكون استعماراً بمعناه التقليدي عام 1948 بل تحولت هذه القضية بالنسبة لهم لاسترجاع حق, بدايةً من وعد بلفور عام 1917 الذي أعطى ما لا يملك لمن لا يستحق وصولاً للولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر الداعم الأول لهذه الحركة الصهيونية منذ نشأتها في مؤتمراتها السرية في أوروبا.

ففي عام 1978 تم توقيع اتفاقية سلام سميت باتفاقية كامب ديفيد بين الرئيس المصري أنور السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي منحيم بيغن في كامب ديفيد بشهادة أمريكية, والتي تعتبر بمثابة خروج مصر خارج دائرة هذا الصراع العربي الإسرائيلي وبالتالي خروج العرب من هذه الدائرة أيضاً ليتحول هذا الصراع من صراع عربي_إسرائيلي إلى صراع فلسطيني_إسرائيلي.

ومن هنا أصبحت القضية الفلسطينية بمثابة الأخت التي تخلى عنها أخوتها بعدما تمت اغتصابها حيث بقي البعض من هؤلاء الأخوة يدعمونها ولكن بشكل ليس علني, وبدأت من هنا القضية تضيق على أصحابها لوصولها لمرحلة اتطرار الطرف الفلسطيني توقيع اتفاقية أوسلو عام 1993 لكي يستطيع الدخول لداخل فلسطين فقط, حيث كانت هذه الاتفاقية بمثابة لعبة لأنها كانت تحتاج لألف اتفاقية لتطبيق هذه الاتفاقية حيث كانت تحتوي على بنود عامة بدون آليات تنفيذ.

حيث استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية تأسيس السلطة الفلسطينية التي تسعى للحصول على دولة مستقلة على حدود 7 حزيران 1967 "كما تزعم الاتفاقية", ولكن هذا لم يحدث, بل استمرت عمليات الاستيطان والسيطرة على أراضي إضافية من أراضي الضفة الغربية وبناء المستوطنات واستمرت عمليات الإخضاع والاعتقالات من طرف الاحتلال مقابل مقاومة الفلسطيني لهذه المضايقات من خلال العمليات الفدائية والانتفاضات الشعبية, لحتى وصلت لمرحلة الخضوع للأمر الواقع من قبل السلطة الفلسطينية والاستمرار بالمفاوضات والاتفاقيات التي لا يلتزم بها الاحتلال.

ففي ظل غياب الغطاء السياسي للفاعل الفلسطيني في المحافل الدولية, واختفاء الدعم الاقتصادي وحتى المعنوي من الدول العربية, وتخاذل العرب مع ازدياد عمليات التطبيع مع الاحتلال, وجد الفلسطيني نفسه في حالة لا يرثى لها أمام هذا الاحتلال, بالإضافة للانقسام الفلسطيني الفلسطيني.

لكن في ظل هذا التباعد والتنافر من قبل العرب تجاه القضية, كان هناك بعض الفواعل الإقليمية والدولية مازالت متمسكة بخيار المقاومة والتحرير, ومازالت مع خيارها الداعم للمقاومة الفلسطينية, والقضاء على هذا المحتل الذي يحتل فلسطين وأراضي عربية أخرى.

تعرضت المنطقة العربية لهزات اجتماعية، وسياسية، وأمنية عنيفة بفعل ما سُمّي بثورات الربيع العربي التي انطلقت من تونس في 2010/12/17م، واستكملت طريقها إلى مصر، وليبيا، واليمن، وسوريا... بسرعة مذهلة، فأحدثت تحولات وتبدلات غير متوقعة ولاسيّما مع هروب الرئيس زين العابدين بن علي، واستقالة الرئيس حسني مبارك، ومقتل الرئيس معمر القدافي، وتنحي الرئيس اليمني علي عبدالله صالح، وانفجار الوضع عسكريًّا في سوريا بين النظام والفصائل المسلحة، بعد أن كانت التحركات الجماهيرية سلمية الطابع، ولكنها لم تسلم من القمع والملاحقات الأمنية لأجهزة النظام.

كانت بداية الثورة التونسية في ديسمبر 2010 وخروج الشعوب في عدة دول عربية للمطالبة بحقوقهم الشرعية, استغلت بعض الدول الكبرى هذه الحركات الاحتجاجية لزرع الفتنة وتضخيم هذه الإحداث في بعض الدول العربية بطرق مختلفة للوصول لحالة اللاأمن وعدم الاستقرار لتحقيق مصالحها اقتصادية وسياسية وعسكرية.

فكانت لهذه الأزمات السياسية العربية أثر كبير على القضية الفلسطينية في عدة مجالات اقتصادية وسياسية وحتى مجتمعية. كما كانت إسرائيل هي المستفيد الأول من هذه الأزمات وقامت بتدعيم وزيادة حدة هذه الأزمات لجعل دول الطوق "المحيطة بفلسطين" في حالة عدم استقرار.

ومن هنا نطرح الإشكالية التالية:

إلى أي مدى تأثرت القضية الفلسطينية في الأزمات السياسية العربية 2010_2018؟

سيتم الإجابة على هذه الإشكالية من خالا هذه الخطة:

الفصل الأول: الأزمات السياسية العربية وعلاقتها بفلسطين

المبحث الأول: الانتشار السريع للاحتجاجات العربية

المبحث الثاني: حضور الإيديولوجية في الأزمات السياسية العربية

المبحث الثالث: العلاقات الفلسطينية مع الدول العربية بعد 2011

الفصل الثاني: الآثار المباشرة للأزمات السياسية العربية على القضية الفلسطينية

المبحث الأول: تأثير الأزمات السياسية العربية على العلاقات الداخلية الفلسطينية_ الفلسطينية

المبحث الثاني: تأثير الأزمات السياسية العربية على ميزان القوى الإقليمي الفلسطيني

المبحث الثالث: استشراف القضية الفلسطينية على المدى المنظور

الخاتمة:

الفصل الأول: الأزمات السياسية العربية

تمر منطقة الشرق الأوسط عموماً والمنطقة العربية خصوصاً بمرحلة أزمات وتحولات كبيرة, حيث لم تكن كلاً من فلسطين بمنأى عنها, بل تأثرت بهذه الأزمات, فكانت الأزمة السياسية في سوريا من أهم التحولات التي حدثت ومازالت تحدث في المنطقة والتي تعتبر من بعد الصراع العربي الإسرائيلي من أعقد الأزمات التي أصابت المنطقة عموماً, والتي كان له أثر كبير على القضية الفلسطينية بالإضافة للأزمة المصرية, والذي سينصب عليهم التركيز مباشرةً في هذه الفصل.

المبحث الأول: الانتشار السريع للاحتجاجات العربية

الاحتجاجات العربية أو الثورات العربية أو الربيع العربي في الإعلام, هي حركات احتجاجية سلمية ضخمة انطلقت في بعض البلدان العربية خلال أواخر عام 2010 ومطلع 2011, متأثرة بالثورة التونسية التي اندلعت جراء إحراق محمد البوعزيزي نفسه ونجحت في الإطاحة بالرئيس السابق زين العابدين بن عل. وكان من أسبابها الأساسية انتشار الفساد والركود الاقتصادي وانتشار الفساد وسوء الأحوال المعيشية, إضافة إلى التضييق السياسي والأمني وعدم نزاهة الانتخابات في معظم الدول العربية, ولازالت الحركة مستمرة حتى هذه اللحظة.

نجحت هذه الثورات في الإطاحة بخمسة أنظمة حتى الآن, فبعد الثورة التونسية نجحت ثورة 25 يناير المصرية بإسقاط الرئيس السابق محمد حسني مبارك, ثم ثورة 12 فبراير الليبية بقتل معمر القذافي وإسقاط نظامه, فالثورة اليمنية التي أجبرت علي عبد الله صالح على التنحي, ثم الثورة السودانية في 2019 التي استطاعت إسقاط الرئيس عمر البشير, والاحتجاجات الجزائرية 2019 التي أطاحت بالرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة وفرض الإصلاحات.

وكانت أكبر هذه الاحتجاجات تلك التي حدثت في سوريا التي لم تنتهي ليومنا هذا والتي تطورت لحرب أهلية ومؤامرة كونية, تدخلت فيها العديد من الدول لحماية مصالحها وفرض آرائها.

وكما هو موضح بالشكل التالي رقم 01, كيف غطت الاحتجاجات جميع الدول العربية وتفاوتت حسب نوعها ومطالبها ونتائجها المتنوعة, حيث تنوعت بين ثورة أدت لخلع النظام, اضطرابات مدنية مستمرة ومطالبات بتغيير الحكومة, احتجاجات وتغيرات في الحكومة, تمرد مسلح, احتجاجات عارمة واحتجاجات محدودة.

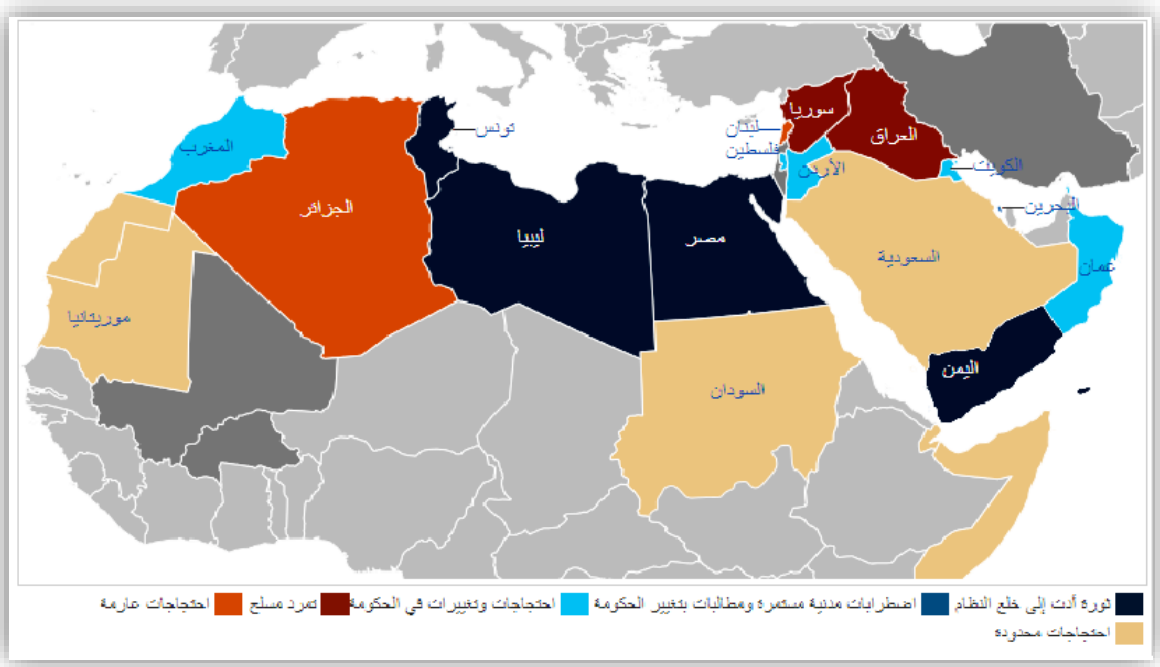

الشكل رقم 01: طريقة انتشار الاحتجاجات في جميع أراضي الوطن العربي.[1]

المبحث الثاني: حضور الايدولوجيا الواضح في الأزمات السياسية العربية

تعيش هذه المجتمعات حالة توتر وتمزق بين ديناميكيتين موضوعيتين كبيرتين تتجاذبان وتخترقان كافة مستوياتها وقطاعاتها: المحلية, القطرية والقضايا المرتبطة بالمواطن وحقوقه، وبين القضايا العربية الأساسية، وعلى رأسها قضية فلسطين؛ قضية العرب الأولى. وتتعايش فيها خطابات تحويل أساليب الحكم، وعلاقة السلطة بالمواطن، ومستلزمات نقلها من إطارها التقليدي القبلي، العرقي، أو الولاء الثقافي، إلى أسلوب حكم عصري يقوم على المحاسبة والشفافية، والدستور والانتخابات الحرة، وحرية الرأي...الخ، التي هي تعبيرات أيديولوجية بامتياز، وأقل ما يمكن القول عنها إنها أيديولوجيات مهيمنة[2]؛ ومن الواضح أن المجتمعات العربية تشهد معارك أيديولوجية في ساحات القاهرة ,تونس ,بنغازي ودمشق.

حيث لا تخلو الخطابات السياسية لقوى ما بعد 2011 من قراءات وتحليلات إيديولوجية, بمختلف أنواع الشعارات الوطنية, المحلية, الدينية, والقومية التي توظف لصالح الاصطفاف الذي لا يزال فاعلاً في علاقات القوة لأحزاب السلطات الجديدة في مصر, تونس, ليبيا وسوريا, ويدفع

[1] ويكيبيديا, الربيع العربي, تاريخ الاطلاع : 2020/01/05, الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD9%8A
[2] مؤتمر المواطن الثامن عشر, أسئلة الثورات العربية في نعاية عامها الثاني, 21_22 أيلول 2012.

باتجاه انقسام يتخطى البعد السياسي والصراع على السلطة, ليطال جوانب أعمق وأبعد من ذلك, كإعادة إنتاج وتوزيع السلطة وتوازناتها.

ومع تغير طبيعة الخطابات تتغير معها الهويات المحلية, ويظهر في بعض الحلقات المجتمعية العربية الحالية تغليب الولاءات الفردية على الولاءات الجماعية, ويعود ذلك لعوائق ذهنية مرتبطة بطبيعة النظم السياسية لما قبل 2011, التي ارتكزت على تهميش المشاركات في صنع القرارات الرسمية العربية, وبفعل هشاشة الانتفاضات وتغيراتها الديناميكية المتبدلة حسب التغيرات المتسارعة وارتباطها بالصراع بين المكونات الاجتماعية التي تحاول إعادة رسم الخريطة الاجتماعية والسياسية لكل بلد عربي, تراها تارة تحاول أن تخلق تحالفات وطنية أو جهوية, وتارةً عن طريق استحضار خطابات وطنية قومية. وتارة أخرى تحاول التركيز على البعد السياسي للدين في مقاومة التفاوت الاجتماعي الداخلي ومقاومة أشكال الغزو الثقافي[1].

على نحو آخر, جرت في بلدان عربية عدة تحالفات لحظية, إما مع الشرطة كما حدث في المغرب واستحضار شعارات: "البوليس سير بحالك هذا الشي مشي ديالك", أو في حالات تم التعامل مع الجيش مثل سوريا ومصر, باعتبار الجيش حامي البلاد, بل أكثر من ذلك فقد تمت إعادة إنتاج النموذج الشخصاني لنموذج السياسي الذي يسوق له في بعض وسائل الإعلام المصرية بأنه ظل جديد لعبد الناصر والقومية العربية[2].

كما تظهر لنا أحداث الربيع العربي أيضاً فشل قوى اليسار العربي, حيث تظهر لنا نتائج الانتخابات في بلدان ما بعد 2011, أن هذه النتائج كانت لصالح الأحزاب الإسلامية, كما حدث في مصر والمغرب وليبيا واليمن. ومع ذلك, فإن الأدوات الإيديولوجية لم تمت, بل مازال المناضلون الاجتماعيون اليساريون التقليديون ينعتون الفرقاء الآخرين ب الانتهازيين والظلاميين والرجعيين...الخ.

المبحث الثالث: العلاقات الفلسطينية مع الدول العربية بعد 2011

فور بدء انطلاقة شرارة الأحداث في تونس, تحركت مجموعات شبانية فلسطينية إلى الشوارع في الضفة الغربية وغزة للتظاهر تأييداً لأشقائهم العرب, رفع خلالها الشباب تعبيرات مثل: شكراً تونس, أشعر الآن بالفخر بأني عربي, الشعب يريد إسقاط أوسلو...الخ. وفي حين

[1] معتصم محمد مفلح زيد, مفهوم المصلحة الوطنية وتأثيره على الوحدة الوطنية الفلسطينية منذ اتفاق اوسلو 1993, اطروحة ماجستير, جامعة النجاح الوطنية, كلية الدراسات العليا, فلسطين, 2015, ص72.

[2] بوعزيزي محسن, السيميولوجيا الاجتماعية, بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, 2010.

ترددت التيارات الفلسطينية اتجاه هذه الثورات العربية, لأخذ مواقف بخصوص الإحداث في العالم العربي, مع بداية الأحداث وتغيرت المواقف مع تغير الأحداث والانتقال من حالة التأييد المطلق إلى التحفظ إلى التشاؤم, وكذلك لقد تغيرت العلاقات بين لاعبي الحقل الفلسطيني وفق تغير موازين القوى لارتباطاتهم السابقة مع أنظمة الدول العربية, مثل فتح وحماس مع القاهرة ودمشق والعكس.

_ العلاقة مع مصر بعد الثورة:

مازالت مصر تعتبر لاعباً أساسياً في العلاقات الفلسطينية_الإسرائيلية, ولكن لم تستطيع السلطة الجديدة "الإخوان المسلمين" في مصر تغيير قواعد اللعبة في المنطقة, حيث لم تمس حتى اللحظة اتفاقية كامب ديفد التي تكلمنا عنها سابقاً, ولم يفتح معبر رفح بشكل اعتيادي رغم التخفيف الجزئي للحصار عن قطاع غزة, وبقي التعامل معه كشأن مصري_دولي_إسرائيلي وليس شأناً فلسطينياً مصرياً, ولم تحقق قفزات نوعية في المصالحة بين فتح وحماس. ومازالت بعض التيارات المصرية المتنفذة في مؤسسات الجيش والمخابرات ترى الملف الفلسطيني ورقة ضغط بين الفرقاء في مصر.

في حين تصاعد الخطاب الإعلامي المصري الاتهامي في تحميلها الفلسطينيين المسؤولية عن الكثير من القضايا الداخلية المصرية, مثل حرق الكنائس والاعتداء على السجون وتهريب المعتقلين من الجماعات الإسلامية المسلحة واتهام حماس بشكل مباشر, وتوجيه اتهام للرئيس المصري السابق محمد مرسي بالتخابر مع حماس. واتهامها بقتل الجنود المصريين...الخ.

حيث شعرت مجموعات فلسطينية كبيرة بخيبة أمل, وبخاصة تلك المرتبطة تاريخياً بالأحزاب التي صعدت إلى سدة الحكم في كل من مصر وتونس, وتحديداً حركة الإخوان المسلمين وحركة النهضة, كما شعرت بهوة على مستوى الخطاب والممارسة والتوقعات والآمال التي عقدت على هذه الأحزاب وإمكانية تغير مسار القضية الفلسطينية.

_ أثر الأحداث في سوريا على الوضع الفلسطيني

كان الموقف الفلسطيني مؤيداً نوعاً ما للاحتجاجات العربية في كل من مصر وتونس وليبيا واليمن, ولكن في سوريا كان الأمر مغايراً تماماً, حيث كان الموقف الفلسطيني متضارباً بين مؤمنين بالمؤامرة ضد "قلعة المواجهة الأخيرة" أمان المشروع الصهيوامريكي في المنطقة,

وبين استبعادها ضمن خطاب تبريري, خصوصاً بعد خروج قيادات حماس من دمشق, وتوريط أطراف فلسطينية في محور المواجهة, حيث اتهم النظام السوري تيارات داخل حماس بالمشاركة في الأحداث, ومساندة بعض الجبهات السورية المعارضة.

ولقد دفع الفلسطينيين ثمناً لهذه التوازنات "الاعتداءات على الفلسطينيين في مخيم اليرموك", حيث تم تهجير آلاف الفلسطينيين, ونظرا لحساسية الوجود الفلسطيني في سوريا وبخاصة إقحام المخيم الأكبر فلسطينيا إلى حلبة الصراع, جعل هذا الملف يحمل طابعاً خاصاً. فتورط الفلسطينيون تدريجياً عبر عمليات الاعتداءات على جماعة المولاة والمعارضة لطرفي الصراع في سوريا, الأمر الذي جعل مجموعات سكانية كبيرة من فلسطينيي سوريا تدفع ثمن مواقف بعض الفصائل الفلسطينية من خلال التهجير واللجوء الجديد. فمع تدخل حزب الله في المعادة زاد الأمر تعقيداً أكثر فأكثر[1].

حيث تعقدت علاقة حماس مع إيران وسوريا الداعمان الأهم للمقاومة الفلسطينية أثر مواقفها الفجائية, مع تعقد أيضاً العلاقة مع حزب الله ولبنان. على عكس علاقة السلطة الفلسطينية مع النظام السوري التي بدأت تتحسن اثر تصريحات كل من عزام الاحمد وجبريل رجوب وتوفيق الطيراوي...الخ.

_ بعد انفجار العلاقات بين قطر ودول الخليج العربي تحديداً لسعودية, طرأت تغيرات كبيرة عن علاقة حماس مع القادة المصرين الحلفاء للسعودية, بناءاً على العلاقة القوبة لحماس مع الجانب القطري, وبالتالي بدء حالة سوء العلاقات مع دول الخليج العربي ومصر مما أدى لإحكام الخناق على قطاع غزة, قابل ذلك بعد حرب 2014 تحسناً طفيفاً في العلاقات مع إيران وحزب الله اللبناني وذلك لأسباب لوجستية مرتبطة باحتياجات القطاع.

كذلك كانت العلاقات مع تركيا, فقد تحسنت العلاقات من خلال المؤسسات الإنسانية والثقافية والتضامنية مع قطاع غزة وتقديم منح دراسية لطلاب غزة, تحديداً بعد حادثة سفينة مرمرة التضامنية, التي كانت تسعى لسد فراغ النظام السوري في غزة حيث أن الاصطفاف مع الخيار الإيراني أفضل لما له من تقوية لمحور الممانعة وخطاب المقاومة, على عكس تركيا التي هي جزء من الحلف الأطلسي, ولديها محالات تعاون واسعة مع تركيا وإسرائيل, واتفاقيات عديدة تجارية واقتصادية وعسكرية.

[1] أبها السقا, الانتفاضات والثورات العربية الحالية وأثرها على القضية الفلسطينية, المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية, فلسطين, 2014, ص32.

الفصل الثاني: الآثار المباشرة للأزمات السياسية العربية على القضية الفلسطينية

كانت بداية الثورة التونسية في ديسمبر 2010 وخروج الشعوب في عدة دول عربية للمطالبة بحقوقهم الشرعية, استغلت بعض الدول الكبرى هذه الحركات الاحتجاجية لزرع الفتنة وتضخيم هذه الإحداث في بعض الدول العربية بطرق مختلفة للوصول لحالة اللاأمن وعدم الاستقرار لتحقيق مصالحها اقتصادية وسياسية وعسكرية.

فكانت لهذه الأزمات السياسية العربية أثر كبير على القضية الفلسطينية في عدة مجالات اقتصادية وسياسية وحتى مجتمعية. كما كانت إسرائيل هي المستفيد الأول من هذه الأزمات وقامت بتدعيم وزيادة حدة هذه الأزمات لجعل دول الطوق "المحيطة بفلسطين" في حالة عدم استقرار.

المبحث الأول: تأثير الأزمات السياسية العربية على العلاقات الداخلية الفلسطينية_ الفلسطينية

قامت السلطة الفلسطينية بمحاولة استغلال ذلك لإضعاف حركة حماس, فمثلاً قام رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس بإظهار أنه الجهة الوحيدة القادرة على التخفيف من معاناة المواطنين, من خلال الطلب من مصر فتح لمعبر, وأن الأخيرة لم تستجب إلا لطلبه, في حين ادعت حماس أن السلطة الفلسطينية وسفاراتها وأجهزتها تقوم بتنظيم حملة لتقويض حكمها في قطاع غزة, وتشويه سمعتها...الخ.

غير أنه من المؤكد أن حركة حماس تأثرت بفقدانها الدعم غير المنقوص لجماعة الإخوان المسلمين ورئيسها المعزول محمد مرسي باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من حركة الإخوان المسلمين, كما أنها فقدت من مشروعيتها نتيجة لموقفها من سوريا, وعلاقتها مع قطر والحلف المضاد لسوريا, وتأليب حزب الله ضدها, على الرغم من أ ثمة تيارات داخل حركة حماس لهم تحالفات ومواقف مغايرة كموقف الزهار وبعض الجهات المسلحة داخل كتائب القسام.

وعلى صعيد آخر من التأثيرات يمكن أن نقرأ مواقف بعض الأحزاب العربية تجاه القضية الفلسطينية, وتحديداً ضد حركة حماس حيث شنت التيارات المناهضة للأحزاب الإسلامية في تونس وسوريا ومثر, التي اعتبرت بعضاً من أجزائها مسؤولاً عن تمرير مخططات مؤامراتية ضد هذه البلدان العربية وضد الحداثة والعلمانية واليسارية والقومية لديها تاريخياً تحفظات أيديولوجية وسياسية على برامج الأحزاب الإسلامية في العالم العربي, على الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية, ولكن ما هو جديد هو أن حركة حماس, التي كانت تحظى بدعم معنوي ومادي كبير, باعتبارها حركة مقاومة ضد مشاريع التسوية والاستسلام, تراجعت شعبيتها لدى بعض هذه التيارات بسبب هذه الأحداث, ولكن هذا لا يعني أن السلطة الفلسطينية قد كسبت مشروعية أكبر.[1]

[1] أبها السقا, مرجع سابق, ص35-36.

المبحث الثاني: تأثير الأزمات السياسية العربية على ميزان القوى الإقليمي الفلسطيني

إن القضية الفلسطينية وبحكم ارتباطها الوثيق بالعالم العربي، بوصفها قضية مركزية، تأثرت بشكل كبير بالتحولات الدراماتيكية الكثيفة، وبخاصة في مصر وسوريا، بحكم التاريخ المشترك الذي صنعته الجغرافيا السياسية وقواسم الثقافة والدين. ففلسطين طائرٌ بجناحين، أحدهما في سوريا شمالًا، والآخر في مصر جنوبًا.

بحسب خارطة القوى الفلسطينية الداخلية؛ ارتبطت حركة فتح تاريخياً بمصر، صانعة السلام مع الكيان الإسرائيلي عبر اتفاقية كامب ديفيد، وهو ما أهلها لأن تكون دولة راعية لمشروع التسوية السياسية الذي دخلته حركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية عقب تبنيها البرنامج المرحلي، برنامج النقاط العشر في عام 1974م. ومع فقدان حركة فتح الداعم العربي الرئيس لبرنامجها التفاوضي بتنحي الرئيس مبارك 2011/2/11م، ومن ثم وصول حركة الإخوان المسلمين الراعي الروحي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، إلى سدة الحكم برئاسة محمد مرسي 2012/6/30م تكون حركة فتح وبرنامجها السياسي قد تلقيا ضربة قوية، إضافة إلى فقدان الكيان الإسرائيلي "كنزًا استراتيجيًّا" بحسب تعبير الجنرال بنيامين بن إليعازر، وتعبير وزير الخارجية المصري السابق نبيل العربي الذي قال خلال برنامج (العاشرة مساء) على قناة دريم المصرية 2011/4/2م: "إن الرئيس حسني مبارك كان بمثابة كنز لإسرائيل... إن إسرائيل كانت تستطيع فعل أشياء كثيرة وتمرير ما تريد من خلاله، وهذا الكنز نفد الآن.[1]

على الجانب الآخر، شعرت حركة حماس المتزعّمة لبرنامج المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، بمزيد من القوة والارتياح لوصول حركة الإخوان المسلمين إلى سدّة الحكم في مصر، معتبرة ذلك تحولًا استراتيجيًّا سيُفضي على المدى المنظور إلى بداية نجاح مشروع المقاومة، وتراجع المشروع الصهيوني. وقد كان الموقف المصري_التركي_القطري أحد تعبيرات التبدل في المشهد، عندما وقفت الدول الثلاث خلف الشعب الفلسطيني ومقاومته في مواجهة العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة عام 2012م، فقد أوضح خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس "أن المقاومة استفادت من هذه التحولات عام 2012م، ولقيت دعمًا من تركيا، ومصر، وقطر، حيث بات الاحتلال الإسرائيلي يسأل عن شروط المقاومة لوقف الحرب

[1] إسرائيل إذ تبكي مبارك, 2011/8/6, وكالة فلسطين اليوم الاخبارية , الرابط: https://paltoday.ps/ar/

وليس العكس[1]. "وهذا الذي شجّع حركة حماس على الابتعاد أكثر عن حلفائها الإستراتيجيين السابقين (إيران، وسوريا، وحزب الله) نتيجة سلوكياتها الطائفية العنيفة ضد الشعب السوري وقواه المدنية المطالبة بالإصلاح السياسي في السنوات الأولى من عمر الثورة السورية، إضافة إلى اعتقاد حركة حماس بحتمية فشل النظام السوري وإيران في مواجهة الحراك الجماهيري داخل سوريا، وهو ما حدا بالحركة إلى تغيير وجهة علاقاتها السياسية نحو تركيا، وقطر، ومصر في عهد الرئيس مرسي.

لكن المشدّ الإقليمي ما لبث أن تكشّف عن ارتدادات أكثر عنفًا، بعد نجاح ما سُمّي بالثورة المضادة في مصر بدعم من الجيش ومحور ما كان يُسمى بالاعتدال العربي الحليف التقليدي لحركة فتح، والخصم لحركة حماس... وسقوط حكم الإخوان المسلمين واعتقال الرئيس محمد مرسي الذي لا يزال قيد الاعتقال، ودخول الدولة المصرية في حالة من الاضطراب الأمني، والاقتصادي، والاجتماعي... إضافة إلى تسلّح قوى (الثورة) السورية في مواجهة النظام، ودخول العديد من القوى الإقليمية والعالمية على خط الأزمة السورية، فتحول المشهد إلى ما يشبه الحرب الأهلية نتيجة التدخلات الخارجية، وتعارض الأجندات الإقليمية والدولية بين إيران، وتركيا، والسعودية، وقطر، ومصر، وروسيا، والولايات المتحدة، والكيان الإسرائيلي... فأصبحت سوريا ككرة اللهب التي تكاد تدمر نفسها وتحرق الأطراف المتصارعة فيها وعليها كافة.

تلك التحولات العنيفة والعميقة، أفضت إلى استنزاف العديد من الدول العربية والإسلامية، وبخاصة سوريا، ثم مصر والسعودية، إضافة إلى بثّ روح الخصومة والمواجهة الطائفية بين إيران وتركيا في سوريا، وبين إيران والسعودية في اليمن... وهذا كان له أثر سلبي عميق في القضية الفلسطينية التي تراجع حضورها على أجندة تلك الدول وشعوبها، لانشغالها بأزماتها الداخلية وحروبها البينية بالوكالة.

إذن فقدت حماس حلفاءها الإستراتيجيين السابقين الداعمين لها بالسلاح والمال والجغرافيا، واكتسبت صداقة تركيا وقطر الداعمينِ لها إنسانيًّا وماليًّا بشكل نسبي، في الوقت الذي خسرت فيه الرهان على نجاح الإخوان المسلمين في حكم دولة بحجم مصر، وفي هذا السياق أكّد خالد مشعل

[1] الجزيرة نت, مشعل: أخطأ الإسلاميون بالرهان على القوة الذاتية, 2016/9/25, تاريخ الاطلاع: 2020/1/7 الرابط: https://www.aljazeera.net/news/arabic/2016/9/24/% d8%a9

أن "الحركات الإسلامية الوسطية -بما فيها حركة حماس- ارتكبت خطأين: الأول المبالغة في الرهان على القوة الذاتية، والثاني وجود خلل في التعامل مع شركاء الوطن.[1]

كما أن حركة فتح تشظّت بسبب النزاع الداخلي على زعامة الحركة خلفًا للرئيس محمود عباس الثمانيني العمر، ومواجهته المفتوحة مع خصمه محمد دحلان المدعوم من مصر والإمارات العربية المتحدة..، كما ضعفت الحركة بسبب انشغال حلفائها التقليديين (دول الاعتدال العربي: مصر، والسعودية، والإمارات، والأردن) الذين بدؤوا يتقربون أكثر إلى الكيان الإسرائيلي سرًّا و علانية لتطبيع العلاقات معه بمعزل عن الوصول إلى حلّ عادل للقضية الفلسطينية، بذريعة مواجهة إيران الخصم المشترك. وهو الذي دفع خالد مشعل إلى القول بأن "دولًا عربية استغلت التحولات في المنطقة للهرولة للتطبيع مع إسرائيل، ومحاولة خفض سقف مطالب الشعب الفلسطيني، بل محاولة فرض قيادة فلسطينية جديدة وعرقلة المصالحة [2]"بين حركتي فتح وحماس.

وهذا يعني ترك الفلسطينيين فريسةً ونهبًا للاحتلال الإسرائيلي الساعي إلى رسم ملامح المرحلة المقبلة وفقًا لشروطه ورؤيته للمستقبل من خلال سياسة الأمر الواقع التي يفرضها الأقوياء.

المبحث الثالث: استشراف القضية الفلسطينية على المدى المنظور

واقع المنطقة العربية مضطرب، ويمر في فترة انتقالية غير واضحة المعالم، ومن المرشح أن يبقى الوضع رمادياً متحركا من 5 إلى 10 سنوات قادمة، الأمر الذي يمنح الاحتلال سعة للتأثير أكثر من أي وقت مضى في واقع التسوية السياسية ومستقبل القضية الفلسطينية التي تعاني من ضعف السلطة في رام الله، وتراجع دور منظمة التحرير الفلسطينية، إضافة إلى مراوحة المقاومة الفلسطينية مكانها، لعدم قدرتها على إحداث اختراق نوعي في المشهد المضطرب نتيجة لعوامل موضوعية تتمثل في الحصار المضروب على غزة، والملاحقة الأمنية في الضفة الغربية، وتراجع حضور القضية الفلسطينية عربياً، ناهيك عن ممارسة بعض الدول العربية (السعودية، الإمارات، مصر، الأردن) ضغوطًا على المقاومة الفلسطينية وفي مقدمتها حركة

[1] الجزيرة نت, المرجع السابق.
[2] التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2014, مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات, بيروت لبنان, 2014_2015, بيروت لبنان,ص125.

المقاومة الإسلامية (حماس)، بوصفها استحقاقًا لتقاربها مع الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الإسرائيلي بذريعة مواجهة إيران والإرهاب، وذلك بحسب مجريات ومخرجات قمة الرياض (العربية الإسلامية الأمريكية) التي انعقدت في 21أيار/مايو 2017.

بناء على ما سبق، واستناداً إلى قوة الكيان الإسرائيلي وعلوه؛ مادياً، وعسكرياً، ونجاح مخططاته الاستيطانية في الضفة الغربية، وتقدّمه في تهويد مدينة القدس المحتلة..، فإننا نعتقد أن مسارات القضية الفلسطينية، وفي المدى المنظور (5 سنوات قادمة)، تتأرجح بين السيناريوهات الآتية:

أولاً : استمرار الوضع القائم على ما هو عليه, جمود في مسار التسوية السياسية، واستمرار الضغط على المقاومة الفلسطينية وحركة حماس في غزة والضفة الغربية، والسعي إلى تجفيف منابع التمويل والإمداد للشعب الفلسطيني من خارج فلسطين المحتلة... بُغية استكمال الاحتلال لمخططاته الاستيطانية والتهويدية في الضفة الغربية والقدس بدعم من إدارة الرئيس ترامب.

ثانيًا: تسويق الاحتلال الإسرائيلي لفكرة الحكم الذاتي تحت السيادة الإسرائيلية, من خلال تدجين السلطة الفلسطينية في رام الله، ودفعها إلى قبول فكرة السلام الاقتصادي مع الكيان الإسرائيلي تحت ضغط الواقعية السياسية، وسياسة فن الممكن.

ثالثاً: الدفع باتجاه إنشاء دولة فلسطينية في قطاع غزة بتوسعته جغرافياً نحو سيناء وبموافقة النظام المصري[1], وهذا يسمح بإقامة ميناء بحري عبر البحر الأبيض المتوسط، وبري عبر الحدود المصرية، وجوي بإعادة ترميم مطار غزة الدولي، ثم الربط بين غزة والمدن الفلسطينية في الضفة الغربية القائمة على نحو 40% من مساحتها، عبر جسر فوق الأرض. على أن تكون دولة منزوعة السلاح، وتحت الرقابة الأمنية الإسرائيلية المباشرة، أو عبر طرف ثالث كالولايات المتحدة الأمريكية والحلف الأطلسي.

رابعاً: إحياء فكرة الكونفدرالية مع الأردن، بإعلان دولة فلسطينية على نحو 40% من أراضي الضفة الغربية (المكتظة بالمدن الفلسطينية الرئيسة) إضافة إلى قطاع غزة، تمهيداً

[1] فكرة دولة فلسطينية في غزة وشمال سيناء، كشف عنها الوزير الإسرائيلي أيوب قره بقوله: "إن رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو خلال لقائه مع الرئيس الأمريكي ترامب سيناقش فكرة الرئيس السيسي لإقامة دولة فلسطينية موسعة في غزة وأجزاء من سيناء"، وأضاف: "إن الرئيس المصري قد عرض الفكرة على الجانب الإسرائيلي كحل بديل لحلّ الدولتين"، هذا إضافة إلى ما كشفته صحيفة جيروزالم بوست الإسرائيلية عن "أن الرئيس السيسي عرض تلك الفكرة على الرئيس محمود عباس عام 2014م، ولكن عباس رفض هذا العرض في حينه". (تابع المزيد من التفاصيل: دولة غزة وشمال سيناء الحلّ البديل، 28 مارس/آذار 2017م، موقع عربي 21, http://m.arabi21.com)

للاتحاد مع الأردن، الذي سيمنح الفلسطينيين في الضفة والقطاع، فضاء جغرافياً جديداً، وعمقاً اقتصادياً عبر الأردن وموانئها الجوية والبرية والبحرية. على أن تكون الدولة الفلسطينية منزوعة السلاح، وتخضع لرقابة أمنية إسرائيلية، وخاصة على منطقة الأغوار (الحدود الفاصلة بين ضفتي نهر الأردن)، أو تخضع لرقابة أمنية عبر طرف ثالث كالولايات المتحدة الأمريكية والحلف الأطلسي[1].

من المرجّح أن يلجأ الاحتلال إلى الدفع باتجاه السيناريو الثاني بالاتكاء على السيناريو الأول (أي الحكم الذاتي تحت ضغط الواقع وانعدام الخيارات)، رغبة منه في إبقاء عموم الأراضي الفلسطينية تحت السيادة الإسرائيلية، ومن ثم التحكّم في الديموغرافيا الفلسطينية من خلال الاستيعاب الاقتصادي, كسوق للاستهلاك المحلي، وكمصدر للأيدي العاملة الماهرة والرخيصة، خاصة إذا نجح الكيان الإسرائيلي في تقويض أو إنهاك المقاومة الفلسطينية عبر الحصار أو المواجهة العسكرية المباشرة بدعم من بعض الدول العربية الرافضة لخيار المقاومة، والساعية بدورها إلى مد جسور التطبيع والتعاون الأمني والاقتصادي مع الكيان الإسرائيلي من دون المرور بالحلّ النهائي للصراع العربي الصهيوني... وهي الدول ذاتها التي تمارس الضغط على السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية لعدم التصعيد سياسيًّا مع الاحتلال، وتسعى في ذات الوقت إلى نزع سلاح المقاومة الفلسطينية توطئة للمبادرة العربية للسلام (مقررات قمة بيروت 2002م)، ونزولًا عند شروط الرباعية الدولية (الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، والاتحاد الأوروبي، والأمم المتحدة) التي أنشئت عام 2002م لمتابعة التسوية السياسية مع الاحتلال الإسرائيلي.

[1] مسارات القضية الفلسطينية بعد الربيع العربي, موقع رؤية التركية, تاريخ الاطلاع: 2020/1/8, الرابط: https://rouyaturkiyyah.com/research-articles-and-commentaries/0

الخاتمة:

لقد كان للأزمات السياسية العربية أثر سلبي كبير على القضية الفلسطينة سياسياً ,اقتصادياً خاصةً اجتماعياً الذي جعل الشعوب العربية تنشغل بأزماتها وتغرق بفساد حكوماتها وتنشغل بمتطلبات الحياة, هذا ما جعلهم يبتعدون كثيراً عن مجرى الأحداث في فلسطين وعدم الاهتمام الكامل في هذه القضية التي كانت قضية العرب المركزية.

بل مما دعى الاحتلال الاسرائيلي إلى تصعيد حدة الأعمال الاجرامية التي يقوم بها بحق الشعب الفلسطيني من الاغتيالات والأسر والاستيطان والاعتقالات المستمرة وحتى الحروب قصيرة المدى. حتى وصلت لمرحلة زيادة واعلان مدى التطبيع بين عدة دول عربية ودولة الاحتلال الاسرائيلي, وتقبل بعض الشعوب لها.

كما يمكننا وصف مرحلة الأزمات السياسية العربية بين 2011-2018 بالنسبة للقضية الفلسطينية بالمرحلة المأساوية التي تراجعت فيها الاهتمام بهذه القصية ليس عربياً فقط بل ودولياً أيضاً. والذي أدى لزيادة الشرخ الحاصل بين التحالفات وميزان القوى الاقليمي في المنطقة.

ولكن ذلك جعل القضية الفلسطينية تدخل بمرحلة آلام المخاض التي ستطل علينا بمرحلة جديدة من مراحل هذا الصراع, مع ازدياد قوة محور المقاومة وزيادة قوة الردع التي تمتلكها المقاومة الفلسطينية التي ستتغير فيها كل قواعد الاشتباك, والتي ستدفع دولة الكيان لاعادة التفكير بكل خطواتها اللاحقة ضمن جدول جديد لم يسبق لها وتعاملت معه.

حتى أن مجالات المقاومة تطورت ليصبح هناك دور كبير للتكنولوجيا في المواجهة من خلال وسائل الاعلام ووسائل التواصل الاجتماع , وتوسيعها لتصبح أيقونة من أيقونات المقاومة ضد الاحتلال الغاشم, ومن هنا قمنا من خلال هذا البحث بإنشاء صفحة على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك للتعريف بالقضية الفلسطينة والتذكير بجرائم الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني واعادة سرد أحداث وقصص فلسطينية من خلال هذه الصفحة والتي تم تسميتها: Stories From Palestine على الرابط التالي:

https://web.facebook.com/Stories-From-Palestine-105264101009192/?modal=admin_todo_tour

- **قائمة المصادر والمراجع:**

1. أبها السقا, الانتفاضات والثورات العربية الحالية وأثرها على القضية الفلسطينية, المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية, فلسطين, 2014.
2. بوعزيزي محسن, السيميولوجيا الاجتماعية, بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, ط1, 2010.
3. معتصم محمد مفلح زيد, مفهوم المصلحة الوطنية وتأثيره على الوحدة الوطنية الفلسطينية منذ اتفاق اوسلو 1993, اطروحة ماجستير, جامعة النجاح الوطنية, كلية الدراسات العليا, فلسطين, 2015.
4. التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2014, مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات, بيروت لبنان, 2014_2015.
5. مؤتمر المواطن الثامن عشر, أسئلة الثورات العربية في نعاية عامها الثاني, 21_22 أيلول 2012.
6. ويكيبيديا, الربيع العربي, تاريخ الاطلاع : 2020/01/05, الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD9%8A
7. إسرائيل إذ تبكي مبارك, 2011/8/6, وكالة فلسطين اليوم الاخبارية , الرابط: https://paltoday.ps/ar/
8. الجزيرة نت, مشعل: أخطأ الإسلاميون بالرهان على القوة الذاتية, 2016/9/25, تاريخ الاطلاع: 2020/1/7 الرابط: https://www.aljazeera.net/news/arabic/2016/9/24/% d8%a9
9. مسارات القضية الفلسطينية بعد الربيع العربي, موقع رؤية التركية, تاريخ الاطلاع: 2020/1/8, الرابط: https://rouyaturkiyyah.com/research-articles-and-commentaries/0